التعريف باللباس التقليدي الجزائري
-البرنوس والقشابية بالجلفة نموذجا-
Presentation of the Algerian traditional costume
-Bernous and Kachabia in Djelfa as a model-
Présentation du costume traditionnel algérien
-Bernous et Kachabia à Djelfa comme modèle-

د./ الصديق طاهري* & د./ سفيان دواح**

تاريخ استلام المقال:2020-08-23 تاريخ قبول النشر:2020-12-18

Abstract:

The traditional Algerian dress embodies a cultural heritage and an ancient civilization.The Djelfa region and its surroundings are considered to be a center of several artisanal industries, including the manufacture of Burnous and kachabia, especially in the Messaad region.These two costumes reveal the historical and cultural value of this region, and illustrate the connection that the local population has with this ancestral heritage.This article presents these products and emphasizes the need to organize and protect this artisanal industry.

Key words: **A**rtisanal costume, **B**urnous, **K**achabia, **A**lgeria, **D**jelfa.

* أستاذ محاضر (أ) - جامعة الجزائر 3
seddikthr@gmail.com (المؤلف المرسل)
tahri.seddik@univ-alger3.dz
مخبر الصناعات التقليدية (LITA)
** أستاذ محاضر (أ) - جامعة سيدي بلعباس
douahs@yahoo.fr

Abstract:

L'habit traditionnel algérien incarne un héritage culturel et une civilisation millénaire.La région de Djelfa et ses environs sont considérés comme un centre regroupant plusieurs industries artisanales, y compris la fabrication de Burnous et de kachabia, notamment dans la région de Messaad.Ces deux costumes révèlent la valeur historique et culturelle de cette région, et illustrent le lien qu'entretient la population locale avec cet héritage ancestral.Cet article présente ces produits et met l'accent sur la nécessite d'organiser et de protéger cette industrie artisanale.

:Mots clés **C**ostume traditionnel, **B**urnous, **K**achabia, **A**lgérie, **D**jelfa.

ملخص:

يعبر اللباس التقليدي الجزائري عن تراث ثقافي وأصالة شعب وحضارة لها جذور تاريخية بعيدة.ومن ربوع الجزائر، تعد منطقة الجلفة وما جاورها مركزا لصناعات تقليدية عدة، ومنها منتوجي البرنوس والقشابية (خاصة في مدينة مسعد جنوب الولاية) الذين يعدان لباسا تقليديا بعمق تاريخي وثقافي، نظرا لارتباط سكان المنطقة بالصناعات التقليدية الحرفية كموروث الأجداد، وهو ما يتطلب تنظيم وهيكلة صناعة اللباس التقليدي وحمايته من الاندثار.

الكلمات المفتاحية: اللباس التقليدي، البرنوس، القشابية، الجزائر، الجلفة.

مخطط المقال:

مقدمة
1) الجلفة مركز لصناعات تقليدية وحرفية
1-1) التعريف بالجلفة
1-2) المنتوجات التقليدية والحرفية بالجلفة
2) صناعة البرنوس والقشابية بالجلفة
2-1) التعريف بمنتوجي البرنوس والقشابية
2-2) صناعة البرنوس والقشابية في مدينة مسعد
خاتمة

مقدمة:

تعتبر الصناعات التقليدية رافدا من روافد الحضارة الانسانية، ووسيلة هامة للتعبير عن أصالة وثقافة الشعوب والمجتمعات، فكانت دوما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة المحلية، عبرت منذ القدم عن روح ومكنونات وحاجيات الانسان الذي يمارسها، ومع مرور الوقت وزيادة الاهتمام بمخرجات هذا الفعل الانساني، ارتقت هذه الصناعة التقليدية إلى نشاط اقتصادي، يساهم مساهمة فعالة في تحسين المستوى المعيشي، ومحاربة البطالة، وتوفير مناصب شغل. كما تتنوع المنتوجات التقليدية حسب كل منطقة وحاجياتها، توفر المادة الأولية، الموقع الجغرافي والمناخ، الارث التاريخي والثقافي للمنطقة؛ وولاية الجلفة على غرار باقي الولايات تختص بعدة صناعات تقليدية وحرف، أهمها صناعة البرنوس والقشابية.

ومنه تتمحور اشكالية البحث في البحث في السؤال: **كيف يمكن التعريف باللباس التقليدي الجزائري من خلال البرنوس والقشابية بمنطقة الجلفة نموذجا؟**

1) الجلفة مركز لصناعات تقليدية وحرفية:

اللباس التقليدي وبعيدا عن الأزياء والموضة، يعبر عن هوية الشعوب وتاريخها وحضارتها، له صورة ثقافية بمعانيها ودلالاتها[1]، وصناعته تُنقل بواسطة المعرفة من جيل لجيل، بالرغم من الأجور غير الكافية وغير المنتظمة[2]. وعلى غرار بعض الدول العربية، حيث يعرف التونسي بالشاشية الحمراء، الليبي بالشاشية السوداء، المغربي ببلباس موحد (وحتة رسميا في البرلمان)، الموريتاني بلباس صحراوي (يشبه لباس الطوارق)، الفلسطيني بالقمباز والكوفية، العراقي بالعقال والكوفية، السعودي بالبشت أو المشلح... الخ. وفي الجزائر وعلى الرغم من ثرائها بالأزياء التقليدية على اختلاف مناطق الوطن، تعتبر القشابية والبرنوس أحد هذا الارث الثقافي التاريخي في غالبية مناطق البلاد على اختلاف عاداتها وتقاليدها.

1-1) التعريف بالجلفة:

ان تاريخ ولاية الجلفة* قديم قدم تاريخ الجزائر** حسب المصادر يعود الى العصر الحجري القديم الفترة الطبيعية حيث كان الانسان يسكن في العراء والكهوف والمغارات، وهذا

** أنشئت ولاية الجلفة بمقتضى التقسيم الاداري لسنة 1974، تضم 12 دائرة و36 بلدية، وصل عدد السكان 1.204.134 نسمة حسب آخر احصاء، وبهذا العدد احتلت الجلفة المرتبة الرابعة وطنيا من حيث عدد السكان. وتتمركز عاصمة أولاد نايل بين ثنايا السهوب الوسطى وعلى سفوح الاطلس الصحراوي، متربعة على فضاء فسيح تبلغ مساحته 32.256.35 كلم^2 بنسبة 1.36% من مساحة الوطن على بعد 300 كلم جنوب العاصمة الجزائر، ومنحصرة بين دائرتي عرض 33 درجة و35 درجة شمالا وبين خطي طول 2 درجة و5 درجة شرقا (غرفة التجارة والصناعة لأولاد نايل).*

*** عرفت المنطقة التواجد الروماني نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الذي حاول من خلال انشاء مواقع متقدمة دفاعية وهجومية لبسط نفوذه على المنطقة ضد التوسع النوميدي في كل من مسعد موقع دمد وكذا زكار وعمورة. وكان العرب يسمون سكان المنطقة بالزناتة، وإلى غاية القرن التاسع فإن القبائل البربرية التي تسكن المنطقة كان لها أسماء: سنجاس، غمرة، والغواط. في الوقت الراهن يقطن ولاية الجلفة عرش أولاد نايل الذي يتجزأ بدوره الى قسمين: أولاد نايل الشراقة بالشرق أولاد نايل، والغرابة بالغرب، وبدورهما ينشق هذين القسمين إلى عدة فرق تسكن في الإقليم كرحل في جبال الصحاري ومنطقة واد الجدي جنوب ولاية (غرفة التجارة والصناعة لأولاد نايل). وفي فترة الأتراك فرضت السلطة اقتطاع ضريبة تدعى " لزمة" على كلتا المقاطعتين. قبيلة أولاد نايل الشراقة أصبحت تابعة لنفوذ بايلك قسنطينة، بينما اتبع أولاد نايل الغرابة بايلك التيطري.*

استنادا للمواقع الاثرية للفن الصخري برصيد 37 موقع اثري[3]. وبالرغم من احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 إلا أن ولاية الجلفة لم تسقط إلا أواخر 1843، حيث خاض أولاد نايل معارك عدة منذ 1836 تحت إمرة الأمير عبد القادر الذي قاد الثورة الشعبية آنذاك[4].
ولاية الجلفة همزة الوصل أين تلتحم الصحراء بالهضاب العليا تجاورها تسع ولايات (المدية وتيسمسيلت شمالا، غرداية والوادي وورقلة جنوبا، بسكرة والمسيلة شرقا، الاغواط وتيارت غربا) بموقع استراتيجي يربط الشمال بالجنوب والغرب بالشرق، سيما وان الطريق الوطني رقم 01 (شمال جنوب) والطريق الوطني رقم 46 (شرق غرب) يمران بها.
تتميز ولاية الجلفة بتنوع مناخها، حيث يسودها مناخ شبه جاف شمالا ومناخ جاف جنوبا، بين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراري نظرا لتمركزها في الوسط.وعموما تتميز بشتاء بارد وصيف جاف وحار، الحرارة تنزل مادون الصفر في شهر جانفي وتبلغ أقصاها في شهر أوت، بالنسبة للأمطار تسجل ما معدله 350 ملم سنويا، وتشهد بعد مناطق الولاية تساقط الثلوج في فصل الشتاء.
ونظرا لشساعة مساحتها وامتدادها من الشمال إلى الجنوب، تتنوع تضاريسها:

- منطقة الهضاب العليا تغطي كل من عين وسارة، حاسي بحبح، والمنطقة السهبية لمسعد حيث تمتد على مساحة تقدر بـ 500000 هكتار، بالنسبة لبلدية عين وسارة، ويصل علوّها ما بين 650 و800 متر، وهي تلي مباشرة سلسلة جبال الاطلس التلي؛
- منطقة الشطوط تمثل منخفضات شطوط الزهرز الشرقي والزهرز الغربي، المتواجدة شمال الأطلس الصحراوي؛
- المنطقة الجبلية تمتد على مسافة 400 كلم طولا و15 كلم عرضا، أهمها جبل الصحاري بحيث يعلو بـ 1544 متر؛
- ومنطقة الضايات التي تتواجد في الجنوب بدائرة مسعد، وهي عبارة عن هضبة صحراوية واسعة تنخفض مشكّلة واد جدي الذي يعتبر الحد الطبيعي للصحراء.

1-2) المنتوجات التقليدية والحرفية بالجلفة:

تعتبر المنتوجات التقليدية والحرفية من مقومات الهوية الوطنية التى يجب المحافظة عليها، كتعبير على الانتماء والوقوف فى وجه الانسلاخ الفكرى والغزو الثقافى وتربية للنشء بالشعور، والاعتزاز بموروثه التاريخى وربط حبل التواصل بين أجيال الأجداد والأبناء، ولتنوع وثراء الجزائر من حيث اختلاف مناخها وتضاريسها من مكان إلى آخر، وتعد أنها فى غالب الأحيان مصدر عيش لكثير من الناس ما زالت تحتفظ بخصائصها وطرق صناعاتها وزخارفها الفنية فى وقتنا الحاضر[5]. وهذه المنتوجات فى حاجة لتأهيل قصد تحقيق الابداع، ولا يكون إلا باعتماد التكوين والتدريب لتحسين مهارات الحرفي التقليدي[6].

تشتهر الولاية بصناعة منتوجات تقليدية، نلخصها أهمها في ثلاث مجمعات أسياسية، تميزها عن غيرها من مناطق البلاد:

- اشتهرت المنطقة بحرفة دباغة الجلود نتيجة توفر الثروة الحيوانية، وصناعة الأحذية (مثل الحذاء الطعبي) والملابس (الأحزمة الجلدية وحلة الصيد) واللوازم الجلدية الأخرى بالإضافة إلى سروج الخيل المطرزة. ويوجد الآن بالولاية مدبغة للجلود تسمى بمؤسسة مدبغة الهضاب العليا بالجلفة متخصصة في صناعة الاحذية والملابس الجلدية، والاثاث[7]؛
- تفرد أبناء الجلفة بأنواع وأشكال الرسوم على منتوجاتهم من الحلي، ابتكروا أنواعا جديدة من الحلي معبرة عن هويتهم الثقافية، والتي كان أغلبها من الفضة، حيث تشتهر المنطقة بصناعة الخلخال (قطعة للزينة من الفضة توضع في الرجل للتزيين، يسمع رنينها أثناء مشي المرأة) التي مازالت مستعملة إلى اليوم خصوصاً في البادية[8]؛
- وتشتهر الولاية بمنتوجات تقليدية نسيجية حرفية، أهمها إنتاج البرنوس والقشابية من وبر الجمال أو من الصوف، وقد تفرد البرنوس الوبري المسعدي والقشابية البيضاء الزكارية برفعة النوعية وصارت تجارة القشابية والبرنوس من أهم وأثمن السلع المتداولة بمدينة مسعد على وجه الخصوص، وقبل التفصيل في منتوجي القشابية والبرنوس، سنستعرض فيما يلي أهم المنتوجات الحرفية النسيجية الأخرى[9].

يعد النسيج هو مجموعة من الخيوط المغزولة معاً، والتي يتكون منها القماش، وتعد صناعة النسيج من أكثر الحرف التقليدية والقديمة انتشاراً، إذ ما زال الكثير من الناس يعتمدون على النسيج اليدوي في صناعة ملابسهم، أو العمل على نسج الصوف الذي اهتمت السيدات قديماً بحياكتهِ لصناعة بعض الملبوسات الشتوية البسيطة. وتعتمد صناعة النسيج على العديد من المكونات الإضافية الأخرى، مثل: الألوان، وأدوات الخياطة، وإضافة بعض المجوهرات التقليدية على أنواع من الملابس، حتى يصبح القماش المنسوج ذا تصميم جميل ومميز[10].
ومن المنتوجات النسيجية التقليدية للمنطقة، نذكر[11]:

- الخمري: يشبه خمار يمتد من الرأس إلى الرجلين بلون أسود وأطرافه مزخرفة باللون الأحمر، خاص بالنساء البدويات يصنع من مادة الصوف المصبوغ باللون الأسود، أو من الصوف الأسود المسمى محليا بالدراعة؛
- الفليج: ينسج بطريقة تقليدية أفقية يتم تحضير مادته الأولية من خليط شعر الماعز والصوف، تقوم بهذا النسيج التقليدي البدو الرحل، ويتم نسج هذا المنتوج التقليدي بهدف البيع أو الاستهلاك الذاتي لتجديد الخيمة، وذلك مرة واحدة في السنة، وحاليا تزين به رواقات وفناءات الفنادق الفخمة؛
- الخيمة: رمز من رموز رجال أولاد نايل وكرمهم تسمى"البيت الحمراء "بلونيها الأحمر والأسود، تجدد سنويا بقطع جديدة تحاك وتنسج بصورة تقليدية تسمى "الفليج " تقسم في تركيبها إلى قسمين:ستار يسمى "الحيال" كحاجز يفصل به بين الخالفة) الجهة

المخصصة لاستقبال الضيوف)، والجهة الأخرى الخاصة بالنساء، ويمكنها احتواء من 10 إلى 20 شخصا، إلا أن هناك نوع آخر من الخيمة البدوية يمكنها احتواء أكثر من مائة شخص تستعمل في الحفلات والأعراس البدوية، وكذا في المواسم والتظاهرات المحلية؛

- الفراش: ويصنع الفراش في جميع مناطق الولاية (مسعد، الشارف، البيرين، عين وسارة...)، يحتوي على أشكال هندسية مختلفة ذات اللونين الأساسين: الأحمر الداكن والأسود، وبداخله توجد أربع معينات تعطي زخرفة خاصة لهذا المنتوج التقليدي، حيث يتبع في نسيج الفراش طريقة العقدة، وينتهي بحافته المصنوعة من شعر الماعز والوبر خيوط نسيجية تتدلى على حافته؛
- الحايك: غطاء رقيق جدا يصنع من مادة الصوف، وينسج بطريقة تقليدية بألوان مختلفة حسب ذوق وعادات ربات البيوت، يستعمل كغطاء عائلي آخذا ألوان رئيسية، بغرض الاحتماء من حرارة الشمس وبرودة الطقس كما أعتبر رمز للعفة والحشمة والأنوثة وهو مبدأ من مبادئ الهوية لكنه تأثر بالتغيير الاجتماعي والثقافي وتغير في الشكل والوظيفة وأصبح تقليدا في طريق الزوال لا يستعمل إلا في بعض المناطق باحتشام وصار طقس من طقوس الزواج؛
- الحنبل: غطاء أثقل وزنا وأخشن من الحايك يصنع بنفس الكيفية مع اختلاف في الزخرفة من الصوف المغزول على شكل خيوط رفيعة مع الحرير، ويستعمل كغيره من الأفرشة في التأثيث.

2) صناعة البرنوس والقشابية بالجلفة:

في كل دول العالم، يستخدم النسيج كثيرا في الصناعات التقليدية العائلية بطرق متباينة، وتعبر عن منتوجات اللباس التقليدي[12]. هذه المنتوجات ترتبط في المجتمع الجزائري، في ثباتها وتغيرها بعوامل أساسية ترتبط في الأصل بالمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد التي تعبر عنها تجليات متعددة في السلوك اليومي، وإن كانت متغيرة ومرتبطة بظروف العصر، والدين باعتباره يفرض أشكالاً متعددة في اللباس على المرء التقيد بها[13]. ومنها نجد منتوجي القشابية* والبرنوس** من أعرق الملابس التقليدية وجذورها ضاربة في التاريخ، وعلى الرغم من ارتباطها بالجزائر عامة ومنطقة الجلفة على وجه الخصوص، إلا أنها حسب المختصين لها جذور في التاريخ الفارسي واليوناني القديم[14].

2-1) التعريف بمنتوجي البرنوس والقشابية:

يعتبر اللباس التقليدي الأصيل من المقومات الثقافية المبسطة لانتماء الحضارة لأعرافها التراثية، التي تبرز قيم صمودها وارتقائها في التمسك بهوية الذات والتعريف بتقاليد المنطقة التي تتبع على تشريفها لتتميز بتنوعها التراثي الذي يروي المبادئ المحافظة لتعاقب الأجيال مستمدة جذور أصالة السلف من السلف. ولعل التنوع الثقافي الجزائري من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه يعتبر قوة ضخامة تراثه الذي يبصم ثروة التقاليد وميزة التنوع الحضاري في الأزياء التقليدية لكل شبر من المناطق الوطنية مقدسة الأعراف الوطنية لكل منطقة تراثية تروي كسوتها رمزية قومية لكل شبر من ربوع الوطن[15].

** يقال أن "القشابية" أو "القشاب" كلمة فارسية معربة، وأصلها:"كشه بان"، ومعناها في العربية "البردة".*
ارجع للصورة 01 - القشابية المصنوعة من الوبر.
*** البرنس، كلمة يونانية معربة، أصلها Birros، وهي في الفرنسية Burnous، وتعني رداء أو ثوب رأسه ملتصق به، أو معطف طويل بقلنسوة، أو غطاء للرأس والعنق.*
ارجع للصورة 02 - البرنوس الابيض (الصوف).

يُعَرّف اللباس الجزائري التقليدي على أنه مجموعة الألبسة التي توارثها والمحافظ عليها جيلا بعد جيل، تلبس بالأخص في المناسبات كالأعياد والأعراس، لها خصائص ومميزات تعبر عن الأصالة والتراث، حتى وإن كان تنوعه الكبير هو الذي يصنع الثراء والجمال[16]. ومن اللباس الجزائري التقليدي، نجدُ القَشَّابيَّة" كلباس تقليدي وحيد يرتديه الرجال في غالبية مناطق البلاد على اختلاف عاداتها وتقاليدهَا، يُفَضَّل ارتداها في فصل الشتاء، حيث يعتبرها الكثير بمثابة "المدفأة المتنقلة" التي تقي من برودة الطقس الشديدة التي تعرف بها غالبية المناطق الجزائرية حتى الصحراوية منها في فصل الشتاء، إضافة إلى شكلها الذي يمنح هيبة ووقاراً لصاحبها[17]. وقد ارتبط هذا اللباس بالثورة التحريرية الجزائرية، وكانت "اللباس الرسمي" لثوار الجزائر، ساعدهم على تحمل قساوة الطبيعة الجزائرية، ولم تعد "القَشَّابِيَّة" مجرد لباس محصن من البرد ومنافس لكل الألبسة الشتوية الحديثة، بل هي رمز للهمة والقوة[18].

بالرجوع للمرسوم التنفيذي 07-339 المتضمن قائمة نشاطات الصناعة التقليدية والحرف[19] الموزعة عبر ثلاثة فروع للنشاط، نجد تصنيف الصناعات النسيجية التقليدية مما جعلنا نجد تصنيف لها في الفرع الخامس من القائمة*، وهي كنشاطات الصناعات التقليدية والصناعات التقليدية الفنية.

القشابية والبرنوس المصنوعين من وبر الجمال تعتبر من المنتوجات التقليدية المعروفة جدا بالمنطقة وذاع صيتها في جميع مناطق الوطن، حيث تمر بعديد المراحل حيث تبدأ في مرحلتها الأولى بعمليات متتابعة ومتناسقة، أين توكل مهمة إعداد الوبر إلى المرأة حيث هي المسؤولة عن اختيار المادة الأولية للقشابية والتي تكون من الوبر الخالص والجيد هي يكون من وبر "العقيقة"- وهو وبر المخلول صغير الإبل في أول زجة له بعد ميلاده ومن أجود الأنواع على الإطلاق، ومنه تأتي مرحلة النسج والحياكة[20].

أما فيما يخص الوبر، فانه يؤخذ من أماكن معينة من أجسام الإبل حيث يوجد بكثافة في جهة الرأس والرقبة والأكتاف في الإبل ذات السنام الواحد وتزداد كثافته في الإبل ذات السنامين نظرا لبرودة المناطق التي تعيش فيها، ويختلف الوبر عن الصوف والشعر بعدة ميزات أهمها: المتانة، الخفة، القلة، والفعالية في الحفاظ على الحرارة كما يتميز بنعومة الملمس ولونه البني المتعدد الدرجات نحو الاصفرار حسب نوع وسن الإبل كما أن هناك اختلاف كبير في إنتاج الإبل من الوبر تبعا لعروق وسلالات الإبل[21]

* ضمن قائمة نشاطات الصناعة التقليدية والصناعة التقليدية - صناعة الصوف والمواد المماثلة له.

البرنوس عدة أنواع، أهمها[22]:

- البرنوس الوبري: هو نسيج تقليدي تختص به منطقة مسعد عن كل مناطق الوطن وهو ذو نوعية ممتازة تقتنى مادته الأولية الوبر"العقيقة" من الجمال، يتم اختيار هذه المادة بخبرة وتجربة، بداية بتصفية هذه المادة وغزلها على شكل خيوط ذات لون بني ذهبي تنسج على طريقة النسيج التقليدي آخذة الشكل النهائي للبرنوس الخفيف الوزن، أما البرنوس الأبيض المصنوع من مادة الصوف فهو يصنع في جميع مناطق ولاية الجلفة؛
- البرنوس الأشعل: إن البرنوس الأشعل هو رمز العروبة والأصالة لدى المسعدي خاصة النائلي عامة، والبدوي على الأخص وغالبا ما يكون من الوبر الخالص، أو من الوبر والصوف مناصفةً، أو من الصوف الخالص حسب مقدرة لابسه المادية؛
- والبرنوس الأبيض وهو ملازم للبرنوس الأشعل يُلبس تحته ولا يكاد يُفارقه إلا في حالة الجو المعتدل فقد يلبس وحده نظرا لخفته، وهو أقل تكلفة منه وأرخص ثمنا، ويصنع من الصوف فقط لكون لونه أبيضًا خالصًا.

القشابية لباس تقليدي خاص بالرجال منتشر بكثافة ومستعمل من طرف سكان الولاية في فصل الشتاء، وهي ذات شكل المتميز عن البرنوس يصنع من مادتي الصوف والوبر ينسج بطريقة تقليدية والدراعة وهو صوف طبيعي أسود لبعض الأغنام ويمكن أن تكون القشابية مصنوعة بخليط للصوف والدراعة أو الصوف والوبر[23] ، وهي شبيهة بالبرنوس إلا أنها مغلقة محيطة بلابسها، وذات كُمّين طويلين.

2-2) صناعة البرنوس والقشابية في مدينة مسعد:

إذا ذُكر اسم "القَشَّابِيَّة"، فيتبادر إلى الأذهان منذ الوهلة الأولى "القَشَّابِيَّة الجَلْفَاوية" نسبة إلى مدينة "الجَلْفَة" التي تعتبر الأغلى والأكثر جمالاً وصلابة، وتشتهر منطقة "مسعد" بكونها "المنتوج الأول للقَشَّابِيَّة" في الجزائر. وتعد مدينة مسعد* أهم مركز لصناعة القشابية والبرنوس حيث تحوي عديد العائلات متخصصة في هذه الصناعة التقليدية، بينما يؤكد أصحاب المهنة أن عدد العائلات العاملة في هذا الميدان أصبح يتضاءل. وكان الآباء والأجداد والأمهات والجدّات بمنطقة مسعد يتميزون عن غيرهم بملابس توارثوها أبا عن جد وما زالت مستعملة إلى اليوم وخاصة بالبادية وبعض المناطق المجاورة كالأغواط والبيض والمسيلة خاصة بوسعادة وسيدي عيسى.

** واقعة على بعد حوالي 60 كلم عن جنوب مدينة الجلفة عاصمة الولاية.*

إن البرنوس الأشعل الوبريُّ والقشابية هما اللِّباس المفضَّل والمعبِّرُ عن أصالة وعراقة المسعدي والنايلي، وهما رمز عزَّته وفحولتِه، وقد أصبح عربي وعالمي الانتشار. وقد أُهْدِيَا إلى العظماء والوجهاء في مناسبات عديدة ومازال إلى اليوم محل طلب لجودتهما، كما يعتبران مصدر عيش أغلب العائلات النَّايليَّة والمسعديَّة خصوصا.

يمر صنع البرنوس والقشابية بعدة مراحل، تتطلب الصبر والاتقان، وهي[24]:

- الانتقاء: اِنتقاء الوبر الخالص من صغار الجمال "المخلول"، ويسمى "وبر العقيقة"؛
- التَّنقيَّةُ: تنقيته مما علق به، وتختص به المرأة النايلية، يتطلب الصبر والوقت؛
- المعالجة: ضربه وتحليله بتمريره على آلة تقليدية معروفة بالمنطقة تشبه المشط لتليين الوبر، وتتكفل به النسوة الخبيرات في ذلك، ليصبح مهيئا لجعله على شكل قطع ملفوفة، تسمى محليا "الريط"؛
- الغزل: جعله على شكل خيوط رقيقة تحضيرا لعملية الحبك؛
- الحبك: حبْكُه بتركيب الخيوط المدعمة له "لَقْيَامْ" التي تصفف عمودية لجعل الخيوط المحضرة أفقية متقاطعة معها وتسمى عملية "السُّدْوَهْ"؛
- التركيب: تركيب الخيوط المدعمة "لَقْيَامْ" على آلة النسج؛
- النسج: وذلك بجعل الخيوط المغزولة بين الخيوط الأفقية متقاطعة معها ودكها بآلة "الْخُلَّالَه" لرصها فوق بعضها البعض رصاً إلى نهاية العملية، مع حك وترطيب كل جزء منسوج حتى النهاية بآلة تسمى "الْكُرْنَافَه"؛
- والخياطة: وجرت العادة أن يكون الخياط من الرجال، حيث عند إتمام عملية النسج من طرف النسوة يحمل المنسوج (برنوساً أو قشابية) للخياط، ويتم الإتفاق على الخياطةِ باليد أو بآلة الخياطة، وذلك حسب المقدرة المادية، وإن كانت خياطته باليد أفضل وأجود وأغلى.

وعادة ما تكون الخياطة حسب جودة المنسوج أو رغبة صاحبه، كما أن كلا من البرنوس أو القشابية يتم نسجها بنفس الطريقة، ولا فارق بينهما إلا في المدة حيث يستغرق البرنوس مدةً أطول.

بشكل عام، من الادوات المستخدمة في الصناعات التقليدية النسيجية، نذكر*:

- الخشب: وهما خشبتان توضعان أفقيا واحدة في الأسفل والأخرى في الأعلى، وفي طرفي كل واحدة مكان لإدخال المناطة عموديا؛
- المناطه: ركيزتان عموديتان لرفع وسمك المنسج تثبتان في الأعلى في الخشبة العليا وفي السفل في الخشبة السفلى في مكان خاص بهما في الخشبتين؛

* *معلومات منتقاة من الثقافة الشعبية المحلية.*

- الخُلاله:أداة من حديد لضرب ورصّ الغزل على بعضه؛
- الصوصيه: أداة شريطية الشكل، غير مستقيمة،تستعمل لنسج ورصِّ الشعر المستعمل في تحضير الفليج، وهو قطعة من قطع الخيمة؛
- العفاس: عبارة عن وتد يشد خشبة المنسج الأفقية بالمناطه، يدخل في ثقب المناطه، ويمر فوق الخشبة الأفقية ليشدها إلى الأرض، ويوضع فوق طرفه البارز شيء ثقيل لتبقى الخشبة ثابتة على الأرض؛
- الكرنافه: آلة خشبية يُحكُّ به المنسوج لترطيبه؛
- الخَدَّام: آلة ذات دفتين وأنياب يعالج بها الوبر أو الصوف لتفكيكه، وذلك تسهيلا لعملية غزله، ويسمى أيضا القرداش؛
- المغزل: آلة دوّارة لغزل الصوف أو الوبر وجعله على شكل خيوط رقيقة؛
- المشط: آلة لضرب الصوف أو الوبر لتسهيل العملية على الخدام الصغير، وهو أقوى منه وأبرز وأطول أنيابا؛
- والعضاضيات: وهما آلتان بسيطتان ذاتا فتحتين حديديتين، تتوسط كل منهما خشبة صغيرة، يمسك بهما طرفي المنسوج (قشابية أو برنوسا أو ما ينسج)، وذلك بوضعه داخل الفتحة والضغط عليه بالقطعة الخشبية وتمدد ليوصل خيطهما بالمناطه.

والخلاصة، أن الحياكة التقليدية تنتج فى المنازل فى مجموعات صغيرة، تنقل الصناعة من جيل إلى جيل من خلال التقاليد الشفوية، بالرغم من أنها تبقى محدودة الدعم المالى ومحدودة الإمكانيات التسويقية[25]. وخاصة، أن البعض ينظر للقطاع ككل على أنه نشاط قديم لازال يحتفظ ببعض الحرفيين الذين استمروا فى الانتاج بأساليب ورثوها عن أبائهم وأجدادهم، ومحكوم عليه بالزوال لان الحرفيين لا يستطيعون ضمان مورد عيشهم أو تسويق انتاجهم[26]. وهو ما يتطلب التفطن لهذا، وتقديم الدعم اللازم للحرفيين قصد تقديم منتوج تقليدى ثراتى يؤكد الإبداع والجودة[27].

الملحق:

الصورة 01 - القشابية المصنوعة من الوبر

المصدر: روبورتاج مصور، غرفة التجارة والصناعة لأولاد نايل بالجلفة، 2020.

الصورة 02 - البرنوس الابيض (الصوف)

المصدر: روبورتاج مصور، غرفة التجارة والصناعة لأولاد نايل بالجلفة، 2020.

خاتمة:

يعبر اللباس التقليدي عامة (و البرنوس والقشابية) عن ثقافة وأصالة الشعوب، ويرمز لحضارة جذورها ضاربة في التاريخ، تتوارثها الأجيال وتعتبرها مدعاة للفخر والاعتزاز بموروث الأجداد، والحال ينطبق على لباسي القشابية والبرنوس، والتي اشتهرت صناعتها بولاية الجلفة خصوصا منطقة مسعد، وتعرف رواجا بكل مناطق الوطن، رافقت الجزائري منذ الثورة التحريرية، حيث كانت اللباس المفضل للمجاهدين والثوار، ولازالت تعرف نفس الرواج، يلبسها كل شرائح المجتمع، يتقاسمها الفقير أو الغني، كما أنها تلبي جميع رغبات طالبيها، لأن سعرها يتراوح كل حسب مقدرته، حيث يتحكم في سعرها، أولا، المادة المصنوعة منها صوفا أو وبرا، وثانيا، لمسة كل حرفي في خياطتها وترصيع خيوطها، وعلى الرغم من ابداع الحرفيين في صناعتها، تبقى اللمسة التقليدية غالبة عليها لتحكي حكاية الأجداد للأحفاد بعيدا عن فكرة الموضة والأزياء الحديثة.

من **نتائج** البحث:

- البرنوس والقشابية حرفة تقليدية متواجدة عبر مناطق الجزائر (على منطقة مسعد بالجلفة)، وتعبر موروث ينتقل من الأجداد إلى الأحفاد؛
- صناعة اللباس التقليدي تعمل على خلق مناصب شغل على طول السنة، إن حَسُن التوظيف؛
- والحرفي غير قادر على تسويق منتوجه، نظرا لقلة الإمكانيات المادية.

ومن **توصيات** البحث:

- ضرورة الاهتمام بالتكوين المستمر كأسلوب للمحافظة على صناعتي البرنوس والقشابية كموروث ثقافي؛
- العمل على استفادة الحرفيين من مختلف برامج الدعم الموجودة؛
- واستخدام مواقع الانترنت ومختلف أساليب الاعلام المتوفرة المكتوبة والمرئية والمسموعة للتعريف بمنتوجي البرنوس والقشابية.

الهوامش والمراجع:

1 عقيلة شنيقل & بشير إبرير، «اللّباس: جماليته وأبعاده الدلالية: دراسة سيميائية في ومضة Aroma" متعة التذوّق"»، حوليات جامعة قالمة للّغات والادب، العدد 19، جوان 2017، ص ص 169-183.

2 Rose-Hélène COULOMBE, «La transmission du savoir dans les arts textiles et l'artisanat», Histoire Québec, vol. 12, n° 03, 2007, pp. 35-43.

3 بلحاج مباركي، «صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل: دراسة انثروبولوجية»، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص 25.

4 بديرينة ذيب، «الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة الجلفة (صناعة الأحذية والصناعة النسيجية)»، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، جامعة الجلفة، المجلد 08، العدد 04، ديسمبر 2015، ص ص 377-383.

5 بديرينة ذيب، مرجع سبق ذكره.

6 محبوب بن حمودة، «الحرف التقليدية الجزائرية والإبداع التكنولوجي»، مجلة "دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية"، مخبر الصناعات التقليدية (LITA)، جامعة الجزائر 3، المجلد 05، العدد 01، جوان 2016، ص ص 11-28.

7 حميدة مختار & يحي بن سليمان، «دراسة تحليلية تنبؤية لحجم إنتاج مؤسسة مدبغة الهضاب العليا بالجلفة للفترة بين شهر جانفي 2010 وشهر ديسمبر 2013»، مجلة إدارة الاعمال والدراسات الاقتصادية، جامعة الجلفة، المجلد 01، العدد 01، مارس 2015، ص ص 67-80.

8 بلحاج لمباركي، مرجع سبق ذكره، ص 55.

9 بلحاج لمباركي، مرجع سبق ذكره، ص 85.

10 مجد خضر، «صناعة النسيج»، 2018/12/23،

http://mawdoo3.com/صناعة_النسيج

11 ارجع إلى:

- سلاف دريسي ثاني، «اللباس التقليدي "الحايك نموذجا"»، مجلة أنثروبولوجيا، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 04، العدد 02، ديسمبر 2018، ص ص 200-213؛
- عمر مسعودي & عبد الكريم رقيق، «قضية اللباس في المجتمع الجزائري بين الحداثة والقيم»، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، المجلد 07، العدد 07، جوان 2018، ص ص 8-21.
- عبد النور بركاتي، «القشابية إرث تقليدي مهدد بالزوال»، مجلة نبض الجزائر، 2011/11/02،
- *http://www.nabdeldjazair.com/2011/11/02/*
- بديرينة ذيب، مرجع سبق ذكره.

12 Sophie-Laurence LAMONTAGNE & Fernand HARVEY, «De l'économie familiale à l'artisanat: Les textiles domestiques, Cap aux diamants», Revue d'histoire de Québec, n° 50, 1997, pp. 20-24**.**

13 عمر مسعودي & عبد الكريم رقيق، مرجع سبق ذكره.

14 ارجع إلى:

- دوزي رينهارت، «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب»، ترجمة أكرم فاضل، وزارة الاعلام العراقية، بغداد، 1981، ص 66؛
- رجب عبد الجواد ابراهيم، «المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة، من الجاهلية حتى العصر الحديث»، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002، ص 391.

15مقال، «اللباس التقليدي الجزائري أصالة ثقافية لمعالم حضارة صامدة»، 2018/04/07، *http://elmihwar.com/ar/index.php/mobile/104266/المجتمع!.html*

16 ياسين بودهان، «لباسي ذاكرتي وثقافتي.. حينما تحتفي الجزائر بلباسها»، 2020/09/03، *https://arb.majalla.com/node/101551/«لباسي-ذاكرتي-وثقافتي»...-حينما-تحتفي-الجزائر-بلباسها*

17 عوف خالفة، «تاريخ الألبسة التقليدية»، ترجمة سعاد نايلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 204.

18 بديرينة ذيب، مرجع سبق ذكره.

19 المرسوم التنفيذي 07-339 المؤرخ في 19 شوال 1428هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 2007م (الجريدة الرسمية 70-2007م) المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي 97-140 المؤرخ في 23 ذي الحجة 1417 هـ الموافق لـ 30 أفريل 1997م (الجريدة الرسمية 27-1997م) المتضمن قائمة نشاطات الصناعة التقليدية والحرف.

20 بلحاج لمباركي، مرجع سبق ذكره، ص 40.

21 بركاتي عبد النور، مرجع سبق ذكره.

22 ذيب بديرينة ذيب، مرجع سبق ذكره.

23 بلحاج لمباركي، مرجع سبق ذكره، ص 44.

24 بلحاج لمباركي، مرجع سبق ذكره، ص 46.

25 Article, «Le tais, tissu traditionnel», 31/03/2020, *https://ich.unesco.org/fr/assistances/le-tais-tissu-traditionnel-01563*

26 سهام بن عمار، «النظرة التعريفية للصناعات التقليدية والحرفية مع الاسقاط على الجزائر»، مجلة "دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية"، مخبر الصناعات التقليدية (LITA)، جامعة الجزائر3، المجلد 07، العدد 01، 2018، ص ص 27-48.

27 محبوب بن حمودة، مرجع سبق ذكره